استكشاف الوجه القبيح للاستيطانحلم الغرب الأميركي: بين الأساطير والتحدياتكيفن كوستنر: رحلة سينمائية عبر الزمنعلي عبد الرحمن (القاهرة)في مقولة للممثل الأميركي ويل روجرز: "كان الغرب مكاناً وُلدت فيه الأساطير من رحم المشقة والأمل، فسيفساء من الأحلام، حيث كل رجل يحمل بندقية يصبح قانوناً لنفسه. كان الغرب مكاناً للمغامرة والأمل، حيث يمكنك البدء من جديد وصنع شيء من نفسك.على هذا الأساس، بنى المخرج الأميركي كيفن كوستنر رؤيته السينمائية لسلسلة أفلامه الرباعية "الأفق: الملحمة الأميركية" الفصل الأول من السلسلة عرض في يونيو من هذا العام، في حين ينتظر العالم عرض الفصل الثاني ضمن فعاليات مهرجان "البندقية" السينمائي الدولي في دورته الـ81، أما الفصلان الثالث والرابع من السلسلة، فسيُعرضان في العام المقبل،كوستنر، الذي يعود إلى الإخراج بعد غياب دام قرابة عشرين عاماً منذ فيلمه "المدى المفتوح" (2003)، يبحر بالمشاهدين في الفصل الأول من "الأفق" في رحلة سينمائية تمتد على مدى 15 عاماً، يروي خلالها قصصاً متعددة الوجوه عن التوسع والاستيطان في الغرب الأميركي، وما تلاها من أحداث، بأسلوب اختزالي حاد، يكشف المخرج الأميركي عن الطبيعة المعقدة للصراع بين المستوطنين والأميركيين الأصليين، حيث تتشابك الأيدي بالدماء على الجانبين،"الأفق"، ليس مجرد استعراض للغرب الأميركي، بل هو تأمل فلسفي عميق في الأساطير التي صاغت الهوية الأميركية، من خلال المزج بين الماضي والحاضر، ويقدم كوستنر رؤية ديالكتيكية تعكس جدلية العلاقة بين الصراع والتقدم،في هذا السياق، بل رمزاً لأميركا ذاتها، والأمل مع الخوف، في هذه السلسلة، يعيد تأطير الغرب الأميركي كمرآة للروح الأميركية، مسلطاً الضوء على الجوانب الإنسانية والاجتماعية التي غالباً ما تظل مغفلة في روايات الغرب الكلاسيكية، وجدلاً حول المستقبل،كوستنر، المعروف بحبه العميق للغرب الأميركي، عكس هذا الحب في كل مشهد من مشاهد الفيلم، حيث جسد جمال الطبيعة القاسية وروح المغامرة التي شكلت هوية الأمة، وبشكل فضفاض دون حبكة سينمائية متماسكة وجد المشاهد نفسه بالفصل الأول أمام 3 قصص مختلفه تدور أحداثها فى فلك رحلة واحدة وعليه أن يفك طلاسمها وما يبراهن عليه المخرج الأميركي من تلك السردية السينمائية، حول اسباب الحقد والضغينة للمستوطن الأبيض ضد السكان الأصليين، والنفعية والجشع في سعي صائدوا الجوائز بحصد المزيد من رؤوس الهنود مقابل حفنة من الامتيازات النقدية والعينة، بجانب تصوير الغرب الأميركي أنه البؤرة الأعنف والمكان الذي لايرحم احداً، والنضال المتوحش من أجل البقاء على قيد الحياة،ديالكتية سينمائيةترى الروائية المصرية أسماء علاء الدين، أو الجدل،وتؤكد أسماء، أن كوستنر لم يكتفِ بتقديم قصة تقليدية عن الغرب الأمريكي، بل تعمق في استكشاف العلاقة المعقدة بين الأطراف المتنازعة، مستعرضاً وجهات نظر مختلفة حول تأثير الحرب الأهلية الأميركية على المجتمع بأكمله،وتضيف، أن الفيلم قدم تصويراً واقعياً لتطلعات الشخصيات المتنوعة في ظل الظروف القاسية التي واجهتها خلال تلك الفترة العصيبة من تاريخ أميركا، وقد تمكن كوستنر من نقل المشاهدين إلى عالم مليء بالتناقضات والصراعات، حيث يعاني الجميع من تحديات الانقسام العرقي والاجتماعي،مضيفة، إلى أن بعض الشخصيات في الفيلم تركت أثراً عميقاً لدى المشاهدين بفضل مواقفها القوية التي عكست الصراعات الداخلية والخارجية التي كانت تعيشها، وعلى الرغم من أن إيقاع الفيلم كان بطيئاً في بعض الأجزاء، وأن مدته الطويلة قد أثرت على تركيز المشاهدين،وتوضح أسماء، إلى أن الفيلم لم يخل من بعض العيوب التي قد تؤثر على تماسك السرد القصصي للأحداث فمن جهة، تلاحظ وجود بعض المشاهد التي بدت متناقضة في مضمونها، ومن جهة أخرى، ترى أن الفواصل الزمنية التي استخدمها كوستنر بين المشاهد قد حجبت عن الجمهور بعض التفاصيل الهامة التي كان يمكن أن تضيف عمقاً أكبر وتوضح أهمية تلك الحقبة بشكل أفضل. أن الفيلم يبقى فيلما يستحق التقدير، بفضل رؤيته الفلسفية العميقة وتصويره الواقعي للصراعات الإنسانية التي شكلت جزءاً كبيراً من تاريخ الغرب الأميركي.وفي النهاية ترى الروائية المصرية، أن كوستنر نجح في تقديم تجربة سينمائية مميزة، تعكس بصدق تعقيدات تلك الحقبة الزمنية، وتثير في الوقت نفسه تساؤلات عميقة حول معنى الهوية والصراع البشري في سياق تاريخي بالغ الأهمية والحساسية بالتاريخ الأميركي.تصوير الأساطير وإعادة تقييم التاريخ الأميركيويتحدث المخرج المصري أمير رمسيس أن كيفن كوستنر، من خلال مشاريعه السينمائية المتعددة، يظهر ولعاً شديداً بالغرب الأميركي القديم، مشيراً إلى أن هذا الولع لا يقتصر فقط على التصوير البصري للمشهد التاريخي، بل يتعمق ليشمل استكشاف العلاقات الإنسانية المعقدة التي نشأت بين المستوطنين البيض والسكان الأصليين في تلك الحقبة الزمنية، في رأي رمسيس، كوستنر لا يسعى فقط لإعادة إحياء الغرب الأميركي على الشاشة، بل يقدم من خلال أفلامه دراسة متأنية للتفاعلات والصراعات التي شكلت جزءاً كبيراً من تاريخ أميركا، وتسليط الضوء على حلم المستوطنين بالتوسع نحو الغرب، هذا الحلم الذي كان مرتبطاً بالبحث عن الثروة والفرص،واضح رمسيس، ان المخرج الأميركي لم يغفل الجانب الآخر من القصة، وهو تمسك السكان الأصليين بأرضهم

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي

وتقاليدهم التي ورثوها عن أجدادهم، ومع قدوم المستوطنين البيض، نشأ صراع عنيف بين الجانبين، عكسه كوستنر في أفلامه،وأضاف أمير، إلى أن كوستنر يحرص دائماً على تقديم شخصيات متنوعة ومعقدة تحمل معها قصصاً غنية تجسد الصراعات الداخلية والخارجية التي تواجهها، وبالرغم أن السرد السينمائي قد يبدو معقداً نظراً لتعدد الشخصيات وتشابك الأحداث، إلا أن كوستنر أتقن الحفاظ على وضوح السرد، لم يسلم كوستنر من الانتقادات، حيث يري بعض النقاد والجمهور أن أفلامه تميل إلى إبراز قصص المستوطنين البيض بشكل أكبر من قصص السكان الأصليين، مما خلق نوعاً من عدم التوازن في السرد السينمائي، ويوضح المخرج المصري رغم هذه الانتقادات، يظل كوستنر صادقًا في تصويره للجوانب القاسية والجميلة لهذه الحقبة، محققًا بذلك توازنًا بين تقديم تجربة سينمائية ممتعة وبين الالتزام بتقديم تصوير واقعي ومعبر عن التاريخ المظلم لأميركا.الرمزية والفلسفة في التصوير السينمائيويتناول الباحث السينمائي معتز عبد الوهاب جوانب التصوير السينمائي في الفيلم من منظور فلسفي، حيث يرى أن هذه العناصر تتجاوز كونها مجرد مشاهد بصرية جميلة لتصبح تعبيراً عن رمزية أعمق ترتبط بالصراع الإنساني والطبيعة، حيث تعكس المساحات الشاسعة والجبال الشاهقة في الفيلم فلسفة "العظمة" مقابل "الصغر"، إذ تبرز اللقطات الواسعة عظمة الطبيعة في مواجهة هشاشة الإنسان، مما يجسد التناقض البصري الذي يعبر عن الصراع الداخلي للشخصيات التي تواجه قوى تفوق قدرتها على السيطرة، مما يعمق فهم المشاهد للعلاقة بين الإنسان والبيئة. هذه الألوان ليست مجرد جمال بصري، بل تعكس أيضاً فلسفة الحياة والتجدد؛ حيث تعبر لحظات الفجر والغروب عن بدايات جديدة ونهايات حتمية، مما يرمز لدورة الحياة والموت في عالم الغرب القديم.كما أن العواصف الشتوية القاسية التي تم تصويرها في الفيلم تظهر فلسفة التحدي والقسوة، حيث تعتبر هذه العواصف ليست مجرد أحداث طبيعية، بل تمثل القوى العظمى التي تعترض طريق الرواد، وتجسد فكرة الصراع من أجل البقاء في وجه ظروف غير متوقعة، بجانب أن التغيرات الفصلية تعكس التناقض بين جمال الطبيعة وصعوبتها، مما يبرز فلسفة الازدواجية بين الحياة والجمال وخلطهما بالقسوة.ويشير عبد الوهاب إلى أن استخدام اللقطات القريبة لإبراز المشاعر الداخلية للشخصيات يتيح للمشاهد فرصة لتأمل الصراعات الداخلية التي تعيشها هذه الشخصيات، هذه اللقطات البصرية ليست مجرد وسيلة لتقريب المشاهد من الشخصيات، بل تعكس فلسفة "التجربة الإنسانية" بكل تعقيداتها، حيث تظهر اللحظات الصغيرة التي تحدد مصير تلك الشخصيات وتكشف عن طبيعة الإنسان المتأزمة بين الأمل والخوف.كما لعبت الإضاءة والتباين دوراً هاماً في عكس رؤية المخرج الفلسفية بين "الواقعية" و"الزوال"، حيث تظهر لقطات الفجر والغروب جمالاً طبيعياً زائلاً، مما يبرز فكرة الفناء والحتمية، والتباين بين الضوء والظلام في المشاهد الليلية يضيف بعداً فلسفياً آخر، الوضوح والغموض،في النهاية، يشير عبد الوهاب إلى أن التصوير السينمائي للفيلم لا يقتصر على سرد قصة تاريخية، بل يقدم فلسفة "الزمن" و"الذاكرة". بجانب تصوير البيئات التاريخية بدقة، من خلال هذه التفاصيل.كما يظهر الفيلم أن التاريخ ليس مجرد مجموعة من الأحداث، بل تجربة حية تشكل حاضر ومستقبل الشخصيات بهذا الشكل، يصبح التصوير السينمائي للفيلم ليس مجرد وسيلة لرواية القصة،

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي